

المحاضرة رقم (11) المنهج الوصفي ومرتكزاته:

يحظى المنهج الوصفي بمكانة خاصة في مجال البحوث التربوية، إذ أن نسبة كبيرة من الدراسات التربوية المنشورة هي وصفية في طبيعتها، وان المنهج الوصفي يلائم العديد من المشكلات التربوية أكثر من غيره، فالدراسات التي تعنى بتقييم الاتجاهات، أو تسعى للوقوف على وجهات النظر، أو تهدف إلى جمع البيانات الديمغرافية عن الأفراد، أو ترمي إلى التعرف على ظروف العمل ووسائله، كلها أمور يحسن معالجتها من خلال المنهج الوصفي، فهو ليس سهلاً كما قد يبدو، فهو يتطلب أكثر من مجرد عملية وصف الوضع القائم للأشياء، إنه ككل مناهج البحث الأخرى يتطلب اختيار أدوات البحث المناسبة والتأكد من صلاحيتها، وكذلك الحرص في اختيار العينة والدقة في تحليل البيانات والخروج منها بالاستنتاجات المناسبة. ومع ذلك فإن للمنهج الوصفي عدداً من المشكلات الخاصة به دون سواه، فما هو اذن المنهج الوصفي؟ وماهي مرتكزاته الاساسية؟

تعريف المنهج الوصفي: هو وصف الباحث للظاهرة المراد دراستها أو جمع أوصاف ومعلومات دقيقة عنها، والمنهج الوصفي يعتمد على دراسة الواقع والظاهرة المدروسة وتصويرها كمياً عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة وتصنيفها وتحليلها واخضاعها للدراسة الدقيقةⁱ، ويتناول المنهج الوصفي الظاهرة النفسية(مثل القلق، الخوف، التسلط، الانطوائية، العدوانية...) أو الاجتماعية(دراسة العاداتالتقاليد والقيم...) ويهدف إلى جمع أوصاف علمية كمية وكيفية عن الظاهرة المدروسة كما تحدث في وضعها الطبيعي، دون أنيتدخل فيها الباحث، من أجل توضيح العوامل المتسببة فيها، والنتائج المترتبة عليها، ويتم جمع البيانات المطلوبة من خلال عدة أدوات وأساليبⁱⁱ.

-أهداف المنهج الوصفي: له اهداف عدة نذكر منها:

- ✓ _ وصف ظواهر أو احداث أو أشياء معينة
- ✓ جمع معلومات حقيقية ومفصلة لظاهرة موجودة فعلا في مجتمع معين.
- ✓ تحديد المشاكل الموجودة أو توضيح بعض الظواهر.
- ✓ إجراء مقارنة وتقييم لبعض الظواهر.
- ✓ تحديد ما يفعله الافراد في مشكلة ما والاستفادة من آرائهم وخبراتهم، وفي وضع تصور وخطط مستقبلية واتخاذ قرارات مناسبة في مشاكل ذات طبيعة مشابهة.
- ✓ إيجاد العلاقة بين الظواهر المختلفة

✓ إن هدف تنظيم المعلومات وتصنيفها هو مساعدة الباحث على الوصول الى استنتاجات وتصميمات تساعد في تطور الواقع الذي ندرسه فالأسلوب الوصفي لا يهدف الى وصف الظواهر أو وصف الواقع كما هو، بل الى الوصول الى استنتاجات تساهم في فهم هذا الواقع وتطويره.

- خصائص الأسلوب الوصفي في البحث ومرتكزاته: يتميز الأسلوب الوصفي بعدد من الخصائص تتمثل فيما يلي:

✓ أنه يقدم معلومات وحقائق عن واقع الظاهرة الحالية يوضح العلاقة بين الظواهر المختلفة والعلاقة في الظاهرة نفسها.

✓ يساعد في التنبؤ بمستقبل الظاهرة نفسها.

✓ كما يركز المنهج الوصفي على وصف الظواهر أو الأحداث في وقت محدد، ومكان معين في حين يتناول المنهج التاريخي الظواهر أو الاحداث خلال فترة تاريخية محددة.

- مرتكزات البحوث الوصفية: ويرى الباحثون أن البحوث الوصفية تركز على خمسة أسس رئيسة تتمثل فيما يلي:

1_ أنه يمكن الاستعانة بمختلف الأدوات المستخدمة للحصول على البيانات بشكل دقيق وواضح كاستخدام الملاحظة والمقابلة والاستبانة وتحليل الوثائق والسجلات بصورة منفردة أو من خلال استخدام أدوات أخرى مرافقه.ⁱⁱⁱ

2_ تهدف البحوث الوصفية أساساً إلى وصف وتحديد كمي لخصائص الظواهر موضوع البحث فإنه لا بد من أن يكون هناك اختلاف في مستوى عمل تلك الدراسات، بينما يسعى البعض منها إلى مجرد وصف الظاهرة وصفاً كمياً أو كيفياً دون دراسة الأسباب التي أدت إلى ظهور المشكلة أو الظاهرة موضوع البحث.

3_ تعتمد الدراسات الوصفية على اختيار عينات ممثلة للمجتمع الذي تؤخذ منه، وذلك توفيراً للجهد والوقت ولغيرها من تكاليف البحث.

4_ لا بد من اصطناع التجريد خلال البحوث الوصفية حتى يمكن تمييز سمات الظاهرة موضوع البحث وخصائصها، خاصة وأن الظواهر في مجال العلوم الاجتماعية تتسم بالتداخل والتعقيد الشديدين الأمر الذي لا يمكن الباحثين من مشاهدة كل تلك الظواهر في مختلف حالاتها على الطبيعة.

5_ ولما كان التعميم مطلباً ضرورياً للدراسات الوصفية حتى يمكن من خلاله

استخلاص أحكام تصدق على مختلف الفئات المكونة للظاهرة موضوع البحث، فإنه لا بد من تصنيف الأشياء أو الوقائع أو الظواهر على أساس معيار محدد لأن ذلك هو السبيل الوحيد إلى استخلاص الأقدم ومن ثم التعميم.^{iv}

ماهي مراحل المنهج الوصفي؟ يقوم الباحث الذي يتبع المنهج الوصفي بإنجاز مرحلتين:

الأولى: هي مرحلة الاستطلاع.

والثانية: هي مرحلة الوصف الموضوعي، بحيث يكون الباحث أخيراً نظرية يمكن اختبارها، أي: أنه يقوم بهذه الأمور التالية:

يسير الأسلوب الوصفي باعتباره أحد أساليب البحث العلمي وفق الخطوات الرئيسية للبحث العلمي من:

✓ الشعور بمشكلة، وتحديدتها، وضع فروض أو مجموعة فروض كحلول ميدانية لمشكلة البحث.

✓ وضع الافتراضات أو المسلمات التي سوف يبنى الباحث عليها دراساته

✓ اختيار العينة التي ستجرى عليها الدراسة وتوضيح حجم العينة وأسلوب اختيارها.

✓ اختيار أدوات البحث التي سوف يستخدمها الباحث للحصول على البيانات والمعلومات المطلوبة ثم الى الاستبانة والمقابلة والملاحظة والاختبار وفقاً لطبيعة البحث وفروضه ثم يقوم بتقنين هذه الأدوات وحساب صدقها وثباتها.

✓ جمع البيانات والمعلومات المطلوبة بطريقة دقيقة منظمة وواضحة.

✓ الوصول إلى النتائج وتنظيمها وتصنيفها.

✓ تحليل النتائج وتفسيرها واستخلاص التعميمات منها بعد ذلك صياغة توصيات البحث.

➤ فالْبَاحِثُ الكفؤ ليس مجرد جامع للمعلومات أو مصنف لها، وإنما يقوم بعمله على أساس من فرضية معينة ولغاية محددة، يتم الوصول إليها وفق خطوات معينة، إن مصادر معلومات البَاحِث في المَنهَج الوَصْفِي؛ إما من المجتمع الأصلي كله، أو من عينة ممثلة لهذا المجتمع، ويتوقف اختياره لهذه الطريقة أو تلك على طبيعة الدراسة التي يقوم بها، وعلى مداها، وفي حالة قيامه بدراسة المجتمع الأصلي بكامله، لا بد أن يكون المجتمع المدروس صغيراً نسبياً،^v ويمكن الدراسة بهذه الطريقة، وحينئذٍ تنطبق النتائج التي توصل إليها على هذا المجتمع الصغير وحده، وإن كانت ذات فائدة نسبية بالنسبة للمجتمعات المماثلة، أما إذا كان المجتمع كبيراً، فلا بد من اختيار عينة منتقاة بطريقة

علمية؛ كي يستطيع القيام بالدراسة، وحينئذٍ يعمم النتائج التي توصل إليها على المجتمع الأصلي الكبير بكامله.

منهج تحليل المضمون: ان تحليل المضمون ينبث اساسا في حقيقته من مبدأ ان هناك جوانب متعددة لسلوك الانسان لا يمكن معرفتها وتحديدها بواسطة استجوابه، انما بواسطة ما يكتبه او يرسمه او يقوله.

فتحليل المحتوى منهج وثائقي، يعتمد على دراسة وتحليل الوثائق ومصادر المعلومات المختلفة، المطبوعة منها وغير المطبوعة، وخاصة مقالات الصحف و المجلات و التسجيلات الصوتية والتسجيلية (الفيديوية) و التليفزيونية و المواقع المتخصصة على شبكة الانترنت وما شابه ذلك من المصادر و الاوعية الإعلامية الوثائقية الناقلة للمعلومات، حيث يقوم الباحث بدراسة وتحليل المعلومات الواردة بشكل كمي.

وربما يشبه أسلوب تحليل المحتوى البحث الوثائقي من حيث وحدة مصدر المعلومات، فالمعلومات فيهما تستخرج من مصدر واحد هو " الوثائق بمفهومها العام" ولكنهما يختلفان في أسلوب التحليل مما يجعل منهما طريقتين للبحث مختلفتين. ففي البحث الوثائقي يتم تحليل كينيا بالدرجة الاولى، ويعتمد استنباط الادلة و البراهين من الوثائق، بينما في تحليل المحتوى يتم تحليل كمي، ويعتمد على التكميم أي الحصر العددي لوحدة التحليل المختارة ومدى تكرارها.

ولهذا يؤكد الكثيرون على ان تحليل المحتوى عبارة عن طريقة بحث يتم تطبيقها من اجل الوصول الى وصف كمي هادف ومنظم لمحتوى اسلوب الاتصال

ويعد هذا تأكيدا للخصائص التالية لهذا المنهج:

- لا يجري تحليل المحتوى بغرض الحصر الكمي لوحدة التحليل فقط، وانما يتعداه لمحاولة تحقيق هدف معين، وهذا ما عبر عنه بكلمة هدف.
- يقتصر تحليل المحتوى على وصف الظاهر، وما قاله الانسان او كتبه صراحة فقط دون اللجوء الى تأويله، واشير هذا التعريف بكلمتي (وصف كمي).
- انه لم يحدد أسلوب الاتصال دون غيره، فحسب بوج و جول Borg and Gall انه يمكن للباحث ان يطبق تحليل المحتوى على أي مادة اتصال مكتوبة أو مصورة ، وحتى دواوين شعرية أو صحف ومجلات، اعلانات أو خطب، كتب او سجلات..... الخ.

- يعتمد تحليل المحتوى على الرصد التكراري المنظم لوحدة التحليل المختارة سواء كانت كلمة أو موضوع، أو مفردة، أو شخصية، أو وحدة قياس أو زمن أو صفة.

ان اتصاف تحليل المحتوى بخصائص تختلف عما في الانواع الاخرى جعل منه طريقة مستقلة وعن طريقه نصل الى نوع اخر من انواع البحوث في المنهج الوصفي يمكن تطبيقها، وان كان البعض يقول انه ليس منها بل طريقة لتحليل المعلومات.

متى نلجأ الى تحليل المحتوى؟

تحليل المحتوى يعتمد اساسا على التكميم اي الاسلوب الكمي في التحليل، ولكنه يطبق عند ما نريد تحقيق عدد من الاغراض مثل:

1- الوصف الكمي للظاهرة المدروسة: كان يكون الهدف من البحث الوصف من خلال الرصد التكراري لوحدة التحليل المختارة.

2- المقارنة: كان تجرى الدراسة بغرض المقارنة مدى تكرار ظاهرة معينة بظاهرة اخرى، فمثلا قد يكون الهدف العام من الدراسة معرفة مدى اهتمام الجمهور العام بقراءة الكتب العلمية مقارنة بمدى اهتمامهم بقراءة الكتب الدينية او الكمبيوترية او الورقية الادبية من خلال الحصر التكراري و الجداول التكرارية لسجلات الاعارة من المكتبات العامة.

3- التقويم: فقد تجرى دراسة تهدف للوصول الى مبررات اصدار حكم معين على الاتجاه الغالب حول قضية ما في احدى مصادر المعلومات، وليكن صحيفة يومية ورقية او الكترونية لمعرفة الاتجاه الغالب. وهل الاتجاه العام يؤيد، أو يعارض، أم هو محايد؟

كيف نطبق تحليل محتوى؟

تحليل المحتوى يشبه غيره من طرق البحث المختلفة من حيث الخطوات الاساسية للتطبيق فيتطلب:

أولاً: توضيح ماهية المشكلة واهميتها والهدف من الدراسة.

ثانياً: مراجعة الاطر النظرية و الدراسات السابقة.

ثالثاً: عرض كيفية تصميم البحث وتحديد خطواته الاجرائية، وتحليل المحتوى خصوصاً يتم عبر الخطوات التالية:

1- تحديد مجتمع البحث الكلي: أي مواد الاتصال التي سوف يطبق عليها البحث. كان يكون صحيفة أو مجموعة صحف، أو كتب أو خطب أو برامج اذاعية أو تلفزيونية، أو سجلات.

والمجتمع الكلي في بحوث التحليل هو مجموع المصادر التي تنشر أو أذيع أو نوقش فيها المحتوى المراد دراسته خلال الحدود الزمنية للبحث.

2- اختيار عينة ممثلة لمجتمع البحث من الصحف أو البرامج التلفزيونية أو عن طريق تطبيق احدى طرق اختيار العينة: وذلك عندما يوجد المحتوى بمجتمع وثائقي كبير يصعب البحث عليه من قبل الباحث. كأن يهدف الباحث الى تحليل محتوى صحيفة يومية أو التقارير الصحفية التي تقدم في احدى الفضائيات خلال خمس سنوات مثلاً، فهنا يصعب على الباحث مراجعة 1800 عدد هي جملة الاعداد التي صدرت خلال السنوات الخمس مما يضطره الى اختيار عينة للأيام أو للأعداد.... الخ. اما اذا كان المحتوى يمكن مراجعته وحصره كمياً في الوقت المخصص للبحث فالطبع لا حاجة حينئذ لاختيار العينة.

3- جمع وتحليل المعلومات: ويكون ذلك في ضوء الخطوات التالية:

أ- تصنيف المحتويات المبحوثة: طبقاً لنظام تصنيف يختاره الباحث ويتلائم مع مشكلة البحث وتساؤلاته، ويعد التصنيف اهم خطوة في تحليل المحتوى لأنه عبارة عن انعكاس مباشر للمشكلة المراد دراستها.

ونظراً لأهمية التصنيف في تحليل المضمون، فقد عدد علماء مناهد البحث عدداً من الاسس التي ينبغي أن تبنى عليها معايير التصنيف وفئاته. من خلال الخلفيات الآتية أو احداها:

- الاطار النظري لمشكلة البحث.
- حدود ما يثيره البحث من اسئلة، او فروض علمية.
- اطار النتائج المستهدفة من البحث.

ب-تحديد وحدات التحليل: هناك خمس وحدات أساسية شائعة للتحليل هي: الكلمة، الموضوع، الشخصية، المفردة، الوحدة القياسية أو الزمنية.

✓ **الكلمة:** كان يقوم الباحث بحصر كمي للفظ معين له دلالاته النفسية او الفكرية او السياسية، او التربوية.... الخ، ومقدار تكراره في صحيفة واحدة او عدد من الصحف مثلا.

✓ **الموضوع:** وهو اما جملة او اكثر تؤكد مفهوما معيننا نفسيا او سياسيا او اجتماعيا او تربويا او اقتصاديا... الخ، قد يهدف الباحث لمعرفة مدى تأكيد الطالب الجامعي لذاته من خلال مشاركاته في صحيفة الجامعة فيقوم بحصر كمي لكل جملة او اكثر يوردها الطالب وفيها تأكيد على (أنا) او (حقي) او (متطلباتي). أو أي كلمة متشابهة تهدف الى تأكيد الذات.

✓ **الشخصية:** ويقصد بها الحصر الكمي لخصائص او خصال وسمات محددة ترسم شخصية معينة سواء كانت تلك شخصية شخصا بعينه أو فئة من الناس، أو مجتمع من المجتمعات. وذلك لتحقيق غرض معين.

✓ **المفردة:** وهي " الوحدة التي يستخدمها المصدر في نقل المعاني و الافكار.... ومن امثلتها الموقع الالكتروني، الكتاب، الفيلم، الخبر، المقال، الكاريكاتير.... الخ فالكتاب المعار مثلا يعد مفردة عند تحليل محتوى قوائم وسجلات الاعارة من المكتبة.

✓ **الوحدة القياسية:** او الزمنية. كأن يقوم الباحث بحصر كمي لطول المقال، او عدد صفحاته، أو مقاطعه، او حصر كمي لمدة النقاش فيه عبر وسائل الاتصال الالكترونية او وسائل الاعلام المسموعة او المرئية.

ج- استمارة التحليل: وهي الاستمارة التي يصممها الباحث ليفرغ فيها محتوى كل مصدر في حال تعددها بحث تنتهي علاقته بعد ذلك بمصدر ذلك المحتوى. وتحتوي استمارة التحليل التي تسبه بطاقة تسجيل للمعلومات على الاقسام التالية:

- البيانات الاولية: الخاصة بوثيقة التحليل كاسم الموقع الالكتروني او البرنامج او الصحيفة، نوعها والسنة او السنوات التي طبقت فيها الدراسة... الخ
- فئات المحتوى.

▪ وحدات التحليل.

▪ الملاحظات.

د- تصميم جداول التفريغ: وهي تتعدد بتعدد اسئلة البحث او اهدافه ويفرغ فيها الباحث المعلومات من استمارة التحليل تفريغا كميًا.

و- تفريغ محتوى كل وثيقة بالاستمارة الخاصة بها: ومن ثمة تفريغ ما في الاستثمارات في جداول التفريغ.

ه- تطبيق المعالجات الاحصائية اللازمة الوصفية منها و الاستدلالية.

ع- عرض النتائج و تفسيرها.^{vi}

مميزات تحليل المحتوى:

- وجود مصدر المعلومة لدى الباحث وامكانية الرجوع له اثناء اجرائه للبحث ويعد اهم ما يمتاز به الاعتماد على منهج تحليل المحتوى.
- يمكن معرفة الكثير من اتجاهات و اراء وقيم الخ قد لا يمكن الحصول عليها بواسطة الاتصال المباشر بأصحابها.
- تحيز الباحث في تحليل المحتوى اقل منه في طرق البحث الاخرى وذلك بسبب الطبيعة الكمية للظاهرة التي يتصف بها تحليل المحتوى وامكانية تكرارها.

عيوب في منهج تحليل المحتوى:

- احتمال التوصل ال استنتاجات واحكام خاطئة على الرغم من تأكيد وحدة التحليل لها على أي حال كل الطرق البحث تعاني من ذلك بسبب ان مادة الدراسة هي البشر.

- محدودية الوثائق وعد شموليتها مما ينعكس على مسألة تعميم النتائج فيما بعد

احتمال سوء تطبيق تحليل المحتوى بسبب تصنيفه لفئات البحث، ومن ثم لتحديده وحدة التحليل التي اختارها تحديدا يستطيع بموجبه ان يميز ما يقع او يندرج تحتها، وما يخرج عنها

-
- عبد الرحمن عدس، أساسيات البحث التربوي، ط3، دار الفرقان عمان: ، 1999م، ص 101. i
- ii- فان دالين، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون، مناهج البحث في التربية وعلم النفس. ط5. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية 1994، ص، ص(92-93).
- iii- سامي محمد ملحم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع (ط2)، 2002، ص53.
- سامي محمد ملحم، مرجع سبق ذكره، ص 56. iv
- v- رجاء محمود أبو علام ، مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية. القاهرة: دار النشر للجامعات (ط3)، 2001م، ص، ص(88-90)
- vi- زكريا الشريبي، مرجع سبق ذكره، ص ص 259، 269.